سنة ١٩٢٩ : ١٠١٠٠ مريض ، سنة ١٩٣٠ : ١٦٣٥٤ مريضاً ، سنة ١٩٣١ : ١٠١٥٥ مريضاً ، سنة ١٩٣٢ : ١٢٠٩٢ مريضاً ، سنة ١٩٣٣ : ٧٦٧٠ مريضاً ، وكان عدد المرضى فى شهور سنة ١٩٣٤ كالآتى .

يناير ٣٦٤ ، فبراير ٣٠٤ ، مارس ٤١٦ ، أبريل ٦٠٢ ، مايو ٦٠٤ ، يونيه ٧٢٥ ، يوليه ٨٨٣

والذى يتتبع هذا الأحصاء يرى تناقصاً فى العدد فى سنتى ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ويرجع السر فى ذلك الى اقفال الحدود النمساوية الألمانية ، فقد قررت حكومة ألمانيا فى يونيه سنة ١٩٣٣ على كل ألمانى يرغب اجتياز الحدود النمساوية أن يدفع ألف مارك ، أى نحو ٧٥ جنيهاً ، فكان هذا شيئاً فى صد تيار الألمان الذى كان يتدفق قبل ذلك الى جالزباخ ، ويكفى للدلالة على ذلك أن تعلم أن عدد الأجانب الذين هبطوا تلك القرية أخذ فى التناقص من ٧٤ ٪ من جميع المرضى فى ســـنة ١٩٢٩ الى ٥٥ ٪ فى سنة ١٩٣٣ الى ٤٧ ٪ فقط فى شهور سنة ١٩٣٤ .

أما تسايلايس ومصحته وطريقته فى العلاج فقد أثارت ضجة عظيمة فى الجرائد الأوربية عامة والنمساوية والألمانية خاصة بين سنتى ١٩٢٩ ، ١٩٣١ ، وقد اطلعت على بعض المقالات التى نشرت فى الجرائد الانجليزية تحت عناوين مختلفة ، منها مقالة فى «الديلى ميل» بتاريخ ١٩٣٠/١٢/١٧ تحت عنوان « عمليات بالآلة الكهربائية » أطرت فيها استخدام الكهرباء بدل المشرط فى العمليات الجراحيـة ، ومقالة أخرى طويلة فى Literary Digest تحت عنوان « معجزات النمساوى صاحب العصى السحرية » وغيرها مما لايتسع المقام لتفصيله . وسنأتى فيما بعد على طرف من أخبار انتصاره على أساتذة الطب فى النمسا وألمانيا ، كما سنذكر شيئاً عن الطرق التى يستخدمها فى العلاج والأمراض التى يعالجها . .

عبد الحميد فهمى مطر

ضحى الاســـــلام
وهو الكتاب التالى لفجر الاسلام
للأستاذ احمد أمين
ثمنه ٢٠ قرشاً

٣ ـ الشريف الأدريسى

يضع أقدم وأصح خريطة جغرافية للدنيا القديمة

للأستاذ محمد عبد الله ماضى
عضو بعثة تخليد ذكرى الامام محمد عبده بألمانيا

تمـــــة

١٣ — الاستاذ كونراد ميللر يعنى عناية خاصة بدرس خريطة الادريسى وطبعها طبعة ملونة لأول مرة .

لم تخف قيمة هذه الخريطة العلمية والفنية على علماء الجغرافيا المستشرقين ، فالكثير منهم قد اشتغل بدراستها فى مختلف العصور ، ولكنهم شغلوا أنفسهم بنواحي خاصة منها ، ولم يجر واحد منهم بحثا شاملا مستقصيا مع اعترافهم جميعا بمنزلتها وتقديرهم لها . وما زالوا على طريقتهم هـذه ولم يخرجوا عنها الى أن أتى الأستاذ كونراد ميللر فأجرى عن هذه الخريطة البحوث المستفيضة وكتب عنها الفصول الطوال التى استغرقت أعداداً كاملة من مجموعته العربية (Mappe Arabackae) تلك المجموعة التى ضمنها أبحاثه فى الجغرافية العربية ، ثم توج هذا العمل الجليل الذى نشكره عليه ونقدره له بطبع الخريطة سنة ١٩٢٨ لأول مرة طبعة ملونة . أبرزها فى تلك الحلة الفاخرة المتناسبة الأجزاء ، فدل على المدن بدوائر ملونة باللون المذهب ، ورسم الأنهار والبحيرات بلون أخضر فاتح ، والجبال بألوان مختلفة أحمر وأصفر وبنفسجى إلى جانب بعضها ، كل هذا فوق أرضية فاتحة اللون تدع نفسها متميزة بوضوح عن لون البحار المدلول عليه باللون الأزرق السماوى الموج بخطوط رفيعة بيضاء ، كما أنها تساعد على تحديد المسالك بعضها عن بعض بسهولة . ولقد كتب اسماءها بحروف لاتينية مميزاً الأقاليم السبعة بخطوط رفيعة حمراء وجعل طولها مترين وارتفاعها متراً تقريباً . وبهذا تكون مساحتها ٤ مساحتها الأصلية التى قدمنا أنها كانت بطول ثلاثة أمتار ونصف متر ، وارتفاع متر ونصف متر تقريباً . هذا وقد يظن أن المساحة الأصلية كانت كبيرة بشكل زائد على اللزوم ، ولكن سوف يتلاشى هذا الظن إذا علمنا أنها تتضمن من أسماء المدن فقط التى كانت مائجة بالعمران فى ذلك العصر ٢٠٦٤ اسماً : (٣٦٥)

بأفريقيا ٦ (٧٤٠) بأوربا ٦ (٩٥٩) بآسيا ، ويوجد بين هذه الأسماء كل أسماء المدن الشهيرة المهمة فى ذلك الوقت .

قبل هذه الطبعة لم تكن الخريطة موجوده بشكل تام مستبكة الأجزاء بعد فقدان الأصل للخريطة الحائطية ، وإنما كانت موجودة فى قطع متفرقة داخل كتاب نزهة المشتاق أو مستقلة بذاتها . ومجموع هـذه القطع الموجودة إلى الآن منها يبلغ ٢٥٥ قطعة كما ذكر الأستاذ ميللر ، توجد بمكاتب باريس وأكسفورد واستانبول ولينتجراد والقاهرة ؛ وكانت هذه القطع من الأصل الذى طبع عنه الأستاذ ميللر تلك الطبعة التى بين أيدينا .

وهنـاك خريطة أخرى تدعى الخريطة الأدريسية الصغيرة طبعها الأستاذ ميللر كذلك فى مجموعته ، وهى ليست لصاحبنا الأدريسى وإنما هى لابنه محمد وضعها سنة ١١٩٢ ، واسمها روض الفرج . ولقد وجدها بعض الباحثين كذلك فى استانبول فى ٧٣ قطعة ، وإذا وازنا بينها وبين خريطة والده فاننا نجده قد أخذها صورة طبق الأصل عنها بشىء يسير من التغيير ، ومع هذا فقد فاتته عناية والده فى الرسم .

١٤ — *خريطة الشريف الادريسى أقدم خريطة عالمية يعرفها التاريخ . موازنات بينها وبين بعض الخرائط وبيان مميزاتها*

بقى أن نذكر مع الفخر والاعجاب أن الخريطـة الأدريسية أقدم خريطة عالمية صحيحة كبيرة مفصلة وموضوعة بغاية الضبط والاتقان والوضوح عرفها التاريخ الى الآن . نعم لقد وصل إلى أيدى علماء الجغرافيا خريطة من عهد قياصرة الروم لها من العمر ضعف ما للخريطة الأدريسية وهى خريطة (بويتنجر) التى وضعت فى عام ٣٦٥ بعد الميلاد ، ولـكنها ليست خريطة عالمية للدنيا القديمة كخريطة الأدريسى ، وإنما هى خريطة لبيان طرق المواصلات فقط ، فضلاً عن أن المدن والمحطات التى ذكرتها أصبحت كلها أنقاضاً لايعرف لها أثر ، فالناظر إلى هذه الخريطة إنما يستطيع أن يتصور موضعها بالتقريب . وأما خريطة الأدريسى فهى فوق كونها عالية تمثل الدنيا القديمة ، وبالرغم من أنها تبلغ من العمر نحو ثمانمائة سنة فكل المواضع التى ذكرتها يستطيع الباحث أن يعثر عليها ويتثبت منها إلى الآن ، وما زال أغلبها يعرف بنفس الأسماء التى ذكرها الأدريسى إلى يومنا هذا . نحن لم نرث من العصر القديم خرائط جغرافية عالية وإن كان قدماء اليونان قد وضعوا خرائط من هذا النوع مبنية على طريقة فلـكية متقنة ، وأشهرها خريطة الدنيا لبطليموس التى تزيد على خريطة الأدريسى بألف سنة فى القـدم ، ولـكنها ليست خريطة للدنيا بالمعنى الذى نعرفه ولا على منهج خريطة الأدريسى تبين الممالك وموانيها إلى آخر ذلك ، وإنما هى خريطة للدنيا بمعنى أنها تعطى نظرة عامة فقط عن الدنيا القديمة وتبلغ مساحتها ٣٥ سنتيمتراً فى ٥٢ سنتيمتراً . هذه الصورة التى أعطتها خريطة بطليموس ظلت معتبرة فى بـلاد الشرق والغرب إلى آخر العصر التوسط . ولقد أخذ الأدريسى حدودها واستعان بها عند وضع خريطته ، ولـكن من حسن الحظ كما عبر الأستاذ ميللر أن الأدريسى قطع النظر بالـكلية عما احتوته خريطة بطليموس بعد الصورة والتحديدات العامة تنفيذاً لأمر رجار الثانى ، نقول من حسن الحظ لأن الأسماء التى ذكرها بطليموس فى خريطته على كثرتها غير مطابقة للواقع بأكثر من ١٪ مع التسامح فى هذه النسبة ، وكذلك درجات العرض والطول الثبتة فى خريطة بطليموس تختلف عن الحقيقة بمئات من الأميال ، لهذا كان من الحـكمة والسداد قطع النظر عما أثبت فى تلك الخريطة بالـكلية ، وكذلك فعل الأدريسى ووصل بمجهوده المستقل إلى أن يعطينا صورة صحيحة مطابقة للعصر الذى عاش فيه بما لا ينتظر خيراً منه ، الأمر الذى جعل لتقسيمات الممالك فى الخريطة الأدريسية وللتقسيمات السياسية على الاطلاق قيمة علمية فائقة . نعم أظهر بطليموس مقدرة العـالم الفلـكى عند وضعه لخريطته فى الوقت الذى أثبت فيه درجات العرض والطول بناء على حساباته العلمية المبنية على القواعد بمقدار لم يصل إليه الأدريسى ، ولـكن هذا لايغنيه شيئاً بجانب عدم التحرى للحقيقة . وعنـد الموازنة بين خريطته وبين خريطة الأدريسى نجد أن بطليموس أثبت خطوط العرض والطول معاً ولـكنها تختلف عن الواقع بشكل غير مقبول . أما الأدريسى فانه أثبت درجات العرض فقط ولـكن بعد قياسات صحيحة ، فهى مطابقة للحقيقة بمقدار يدعو المقـدر للخريطة الأدريسية علماً إلى أن ينظر اليها بعين الاكبار والاجلال . وأما خطوط الطول فقد ترك إثباتها الأدريسى عن قصد ، إذ تبين له أن مقادير المقاييس التى وصلت إليه غير صحيحة ، ولأنه لم يتيسر له بعد هذا إجراء قياسات أرضية لبيان درجات الطول وقياس الـكرة السماوية ، وإن كان فى الاستطاعة فانه لايعطى نتيجة مقطوعاً بها .

هناك خريطتان أخريان

(١) خريطة Ebstorf نسبة للدير الذى وجدت فيه بمدينة هانوفر من أعمال ألمانيا .

(٢) خريطة Hereford التى وجدت باحدى كنائس هرفورد بانجلترا .

وهاتان الخريطتان بالرغم من أنهما وضعتا بعد الخريطة الأدريسية بمائة سنة فلم تكونا عملاً علمياً ، وانما كانتا عبارة عن تخطيطات زخرفية كما عبر الأستاذ ميللر ، تمثلان شيئاً من العصور السابقة لعصرها ، غير محتويتين إلا على شيء يسير من الجغرافية المعاصرة لها .

لعل القارىء يتساءل الآن عن مقياس الرسم للخريطة الأدريسية ، وهنا أقول إن مقياس الرسم بالمعنى الحديث الذى نعرفه والذى بمساعدته يستطيع الانسان أن يعرف مساحة جهة من الجهات بقياس مساحتها فوق الخريطة ، مقياس الرسم بهذا المعنى لانجده فى خريطة الأدريسى ، وهو طبعاً لم يوجد فى جميع الخرائط القديمة ، وإنما وجد بعد وضع خريطتنا بمئات السنين . على أن الأدريسى قد أشار الى طريق الوصول الى معرفة مثل هذا المقياس الحديث . الأدريسى ذكر درجات العرض وقدر الدرجة بخمسة وعشرين فرسخاً ، والفرسخ بثلاثة أميال ، وعليه فالدرجة ٧٥ ميلاً ، ولكن الذى لم يذكر قدره الأدريسى هو الميل ، فان قدرنا الميل بما كان معروفا عند الروم وهو كيلو متر ونصف تكون الدرجة مقدرة عنده بـ١١٢,٥ كيلو متر ، وبهذا يكون الأدريسى أعطانا مقياس الرسم لخريطته بشكل واضح .

فى الختام أريد أن أذكر لحضرات القراء بعض الميزات التى تزيد فى قيمة الخريطة الأدريسية ، وقيمة شرحها نزهة المشتاق :

(١) تجنب الأدريسى ذكر الخرافات التى كانت شائعة فى العصر المتوسط ، والتى تورط فى ذكرها غيره من المؤلفين . ولقد كان من حنكته أنه إذا ذكر شيئاً خارجا عن حدود العادة نسبه الى ناقله ، ثم أعقبه بكلمة احتياط كقوله : والقادر على كل شيء أعلم بما فى هذا من الحقيقة . ولم يرسم ما كان شائعاً رسمه عند علماء الجغرافية مما يمثل الغرائب الخرافية ، وطبعاً كان لتعاليم الاسلام الفضل الأكبر فى هذا .

(٢) انفردت خريطة الأدريسى بأنها هى الخريطة الوحيدة التى تعطينا صورة صحيحة عن البلاد الواقعة حول البحر القزوينى وصحراء العجم فى مدة من الزمن تبلغ نحو قرن ، هذه المدة التى لولا خريطة الأدريسى لظلت حلقة مفقودة فى تاريخ هذه البلاد .

(٣) إن خريطة الأدريسى وحدها هى التى مثلت لنا دولة الاسلام الغربية وهى فى عصرها الذهبى ، تلك الدولة التى كان حظها حظ المائدة الفضية التى علم خبرها والتى قضى عليها فى وقت وجيز على يد التتار والمغول . فما لم تصل اليه يد جنكيز خان بالتدمير من المدن الغربية وحضارتها الى عام ١٢١٩ ميلادية صعقته يد هولاكو التترى يوم ضرب العواصم الاسلامية ، وترك جنوده يعيثون فى بغداد فساداً فى فبراير سنة ١٢٥٨ سبعة أيام كاملة ، قتلوا فيها أهلها ، وخربوا عامرها ، وحرقوا كتبها أو أغرقوها .

ومن هذا الوقت تغيرت العواصم ، وتبدلت الأسماء ، وخلفت الدولة العربية دولة المغول والأتراك ، وأخذت الخرائط التى وضعت بعد ذلك وجهاً آخر جديداً . فالخريطة الأدريسية إذن هى آخر تمثال لدولة العرب الغابرة يلهمنا العظة ويحدثنا عن فتوحهم وعن مجدهم وفخارهم بأنصع عبارة وأجلى بيان .

وإننى فى الختام أدع الحكم على قيمة هذا العمل العلمى الكبير ، وعلى مجهودات الأدريسى ورجار المشكورة لرجل خبير درس الخريطة وشرحها « نزهة المشتاق » دراسة وافية ، لرجل لم يجر فى عروقه الدم العربى ، ولا مجال لاتهامه بالتحيز فى حكمه ، ذلك هو الأستاذ « كونراد ميللر » إذ يقول فى آخر بحث أجراه لشرح الخريطة ما معناه : « إن رجار الثانى والأدريسى بوضعهما لهذه الخريطة قد وضعا أهم حجر أساسى فى تاريخ انتشار العلم الانسانى . » واليكم عبارته بالنص الألمانى :

"Sicher ist, dass KIng Roger II., und der Scherif Idrisi mit dieser Karte ein Werk geschaffen haben, welches eine der wichtigsten Marksteine in der Geschichte der Ausbreitung des menschlichen Wissens darstellt."

أما كلمتى أنا فانى أوجهها الى ورثة الأمة العربية ، وأخص شباب مصر الناهض وأبناءها البررة العاملين ، أوجهها الى هؤلاء جميعاً بعد أن نشرت بين أيدى القراء صحيفة ناصعة من صحائف أسلافنا الامجاد ، وبعد أن عرضت عليهم بعض ما يجعلنا نعتز بتاريخنا ، ونفخر بماضينا ، وأناشد هذا الشباب المصرى ليجدّ فى العمل كل فى ناحيته راجياً أن نوفق فى مسعانا ، ونربط حاضرنا بماضينا لنصل بوطننا العزيز بمشيئة الله وعونه الى مكانه الذى أخذه فوق ذروة المجد ، وعلى قمة العلياء تحت قيادة مليكنا المحبوب قائد النهضة وحامل لوائها فى مصر والشرق .

محمد عبد الله ماضى